رحلات الشرق

_٤_

رحلة إلي الفيحاء

بقلم

الدكتور إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

٢٠٠٠م

رحلة إلي الفيحاء

المؤلف والمخرج : د٠ إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
الناشر : مركز الإسكندرية للكتاب
تاريخ النشر : الطبعة الأولى ٢٠٠٠م
الترقيم الدولي :
رقم الإيداع :

رحلة إلى الفيحاء

الفيحاء مدينة مشهورة تعرفونها يا أصدقائي ... فما هي تلك المنطقة الرائعة ؟

إنها مدينة مشهورة جدا .. وتعرفونها جيدا ...

إنها مدينة دمشق عاصمة سوريا ...

فتعالوا بنا نعيش معا لحظات جميلة في رحاب مدينة الفيحاء والجمال والحدائق والغوطة الشهيرة الرائعة الجمال ... مدينة دمشق عاصمة سوريا وأحد معالمها الحضارية والتاريخية ...

مدينة دمشق

مدينة قديمة جدا ، يعود تاريخ إنشائها إلى ثلاث آلاف عام قبل الميلاد ، كانت عاصمة لمملكة آرامية التي كانت أقوى ممالك المنطقة ، ثم خضعت دمشق للاحتلال الآشوري ثم لسيطرة مملكة بابل ثم للاحتلال الفارسي ثم خضعت للسيادة الرومانية قبل أن تصبح مدينة عربية خالصة ...

وعُرفت دمشق باسم " ديماشكي " في العصور الآشورية ، وأطلق عليها الآرميون اسم " داراميسق " أي الدر المسقية ، واحتلها الاسكندر الأكبر عام ٣٣٣ قبل الميلاد ، وحكمها الأنباط ثم الرومان حتى فتحها جيش المسلمين بقيادة أبوعبيدة الجراح وخالد بن الوليد عام ١٤ للهجرة الموافق عام ٦٣٤م .

وقد دخل دمشق العديد من الفاتحين والزعماء ، منهم خالـــد بـــن الوليد ، المُلقب بسيف الله المسلول ، الفاتح الإسلامي ، ودخل من الباب الشرقي ، ودخل أبوعبيدة بن الجراح قائد القوات الإســـلامية في الشام إلى دمشق من باب الجابية ، ودخل عمرو بـــن العـــاص دمشق من باب توما ، ودخل الفاتح الكبير تيمور لنك دمشق مـــن باب الصغير ٠

ولقد أصبحت دمشق عاصمة للدولة الإسلامية ، بعد المدينة المنورة ثم الكوفة ، منذ إعلان الدولة الأموية عام ٦٦٢م ، حتى قيام الدولة العباسية ببغداد عام ٧٤٦م ، وظلت من المدن الإسلامية الهامـــة ، ومن أشهر ولاتها صلاح الدين الأيوبي ٠

ودمشق مدينة قديمة مازالت موجودة حتى الآن ، يحيط بها دمشق الحديثة ، التي تكونت تدريجيا بأحيائها المتعددة٠

الجامع الأموي الكبير

من أهم معالم دمشق المسجد الأموي الذي يوجد في قلب دمشق القديمة ، وهو من أضخم وأكبر المنشآت الإسلامية في العالم ٠٠

وبنى المسجد الأموي الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي، وشيده وفق تخطيط مبتكر ، ليكون أكبر المساجد الجامعة حينذاك ، فجاء المسجد فريدا في هندسته ، واستغرق بناؤه حوالي عشر سنوات كاملة ، وتم افتتاحه للصلاة عام ٩٦هـ الموافق ٧١٥م ٠وأقيم المسجد على شكل مستطيل بطول ١٥٦ متراً وعرض ٩٧متراً ، وله صحن واسع ، وتقوم حول جهاته الثلاث أروقة محمولة على أقواس مستديرة ، أما طرفه الرابع فمشيد على جدار الحرم الذي يبلغ طوله ١٣٩متراً وعرضه ٣٧ متراً ٠

وللجامع الأموي أربعة أبواب هي : الباب الغربي ، ويسمى باب البريد والذي يتكون من ثلاثة مداخل ، وهذا الباب من الخشب المصفح بالنحاس ، وهناك الباب الشمالي ويطلق عليه باب الفراديس ، ويطلق عليه اليوم باب العمارة ، وتتلوه كتابة بالخط الكوفي البديع من حكم السلاجقة ، والباب الشرقي ويسمى باب النوفرة أو باب جيرون ، ومازال هذا الباب محتفظاً بوضعه الأموي وصناعته منذ إنشائه حتى الآن ، وأخيراً هناك باب الزيادة وهو الباب المفتوح من الجهة الجنوبية للمسجد ٠

ومن قباب الجامع قبة الخزنة التي أُقيمت على ثمانية أعمدة جميلة زينت بالفسيفساء ، وهناك قبة كبيرة تُسمى قبة النسر التي ترتفع

نحو ٣٦ متراً ومحمولة على أربعة عضائد كبيرة فوقها رقبة مثمنة مزودة بالنوافذ الرائعة .

وبالجامع أربع محاريب ثلاثة منها قديمة هي المحراب المالكي في الطرف الشرقي والمحراب الحنبلي في أقصى الطرف الغربي ، والمحراب الشافعي ، أما المحراب الحنفي فهو محراب حديث . والمحاريب مزينة بالرخام والصدف والمرمر ، وتتميز بالجمال والإبداع الفني وخصوصا المحراب الحنفي .

وبالمسجد الأموي ثلاثة مآذن شاهقة الارتفاع هي : مئذنة العروس في الجزء الشمالي ومئذنة عيسى في الزاوية الجنوبية الشرقية ، والمئذنة الغربية وتقع في الزاوية الجنوبية الغربية وهي من أجمل المآذن الثلاثة .

وبالمسجد المقصورة الرئيسية التي كان يصلي فيها الخليفة الأموي والتي أُقيمت على نهج الخليفة معاوية بن أبي سفيان في إقامة مقصورة يصلي فيها الخليفة .

وجدران المسجد وأعمدته وأروقته والأقواس المقامة فيه ، كلها مُزينة بالفسيفساء الجميلة التي تتكون من فصوص صغيرة على شكل مكعبات من الزجاج الملون والمُذهب وقطع من الصدف ، ووضعت هذه الأجزاء الصغيرة إلى جانب بعضها البعض مكونة موضوعات زخرفية متناسقة في غاية الإتقان والروعة والدقة ، وتعتبر ألواح الفسيفساء في الجامع الأموي من أجمل وأروع من مثيلاتها في مختلف أنحاء العالم .

معالم دمشق

من أهم معالم دمشق نجدها تمتلئ بالمعالم الهامـــة ، ســـواء فـــي تاريخنا العربي والإسلامي ، أو في تاريخ دمشق العتيد ، ومن أهم تلك المعالم والآثار :

ـ معبد جوبيتر : من أشهر المعابد القديمة فـــي العـــالم أجمـــع ، ويتميز بالضخامة وعظمة البناء ، وهو مـــزود بـــأبواب وأســـوار حصينة ، وأطلق عليه العرب " حصن دمشق " ، واعتبروا أسواره هي أسوار مدينة دمشق اليونانية القديمة ، وسُمي بـــاب المعبـــد الغربي بباب البريد ، وبابه الشرقي سمي باب جيـــرون ثـــم تغيـــر الاسم إلى باب اللبادين ويسمى الآن باب النوفرة ٠

ـ قصر أسعد باشا العظم : ولقد بُني عـــام ١١٦٣هــــ الموافـــق ١٧٤٩م ، وأُقيم على أنقاض معبد روماني قديم وجزء من دار خالد بن الوليد ، وجزء من مكان قصر الخضراء الذي بناه معاوية بـــن أبي سفيان، وتبلغ مساحته ٥٥٠٠ متراً مربعاً ، واستغرق بنـــاؤه ثلاث سنوات ، وهو نموذج للعمارة الدمشقية ، وسكنه آل العظـــم حتى عام ١٩٢٠م ، ويتكون هذا القصر من : جزء خاص بضيوف العائلة من الرجال ويسمى السلاملك ، وجـــزء خـــاص بالمعيـــشة اليومية للأسرة ويسمى الحرملك ، وجزء خاص بالمطبخ والخدم ، وبه ست عشرة قاعة كبيرة وتسع عشرة غرفة في الطابق الأرضي ، وتسع غرف في الطابق العلوي ، وبه أيضاً أربع برك ماء بهـــا ماء جاري بالإضافة لحمام واسع تمر فيه مياه نهر البردى الساخنة

والباردة لتدفئة الحجرات ولتبريدها ، وهو الآن متحفا منذ عام ١٩٥٤م ٠

ـ المدرسة الظاهرية : بنيت في عهد الملك الظاهر بيبرس ، ولذلك سُميت باسمه ، وهو مدفون فيها هو وابنه ، وكانت مدرسة زاهرة ، وبها مكتبة زاخرة بالمخطوطات حيث يوجد بها نحو ستة عشر ألف مخطوط ٠

ـ ضريح صلاح الدين الأيوبي : من المعالم الرئيسية بدمشق قبر البطل العربي المسلم صلاح الدين الأيوبي محرر القدس من الصليبيين وموحد كلمة العرب والمسلمين ، وبُني الضريح في المدرسة العزيزية التي اندثرت ، والضريح تظلله قبة كبيرة جميلة وحوله ساحات رائعة بها قوس كبير ونافورة رائعة وتطل على المسجد الأموي العظيم ٠

ـ الأسواق : تتميز دمشق بأسواقها الجميلة التي تمتاز ببنائها المرتفع والتي تعلوها من الحديد والخشب ، وبالأسواق مساجد ومدارس ومقاهي وخانات (فنادق) وحمامات، ومن أشهر هذه الأسواق سوق الحميدية بالقرب من الجامع الأموي ، وسوق مدحت باشا ، وسوق الحريقة ٠

ـ المساجد الدمشقية : وهي عديدة أهمها :

- جامع سنان باشا ، في حي السنافية قرب باب الجابيـــة، وهـــو مسجد جميل يتكون من مئذنة فريدة من نوعها وحرم للمسجد وصحن وأروقة، وله بابان جميلان ، وبه قبة كبيـــرة تتخللهـــا نوافذ ملونة جميلة ، ومنبره من المرمر الأبيض المحفور ٠
- مسجد فلوس ، وهو يقع في حي الميـــدان ، ويُـــسمى بزاويـــة الرفاعي ، وبُني في العهد الفاطمي ، ويتميز بزخرفـــة محرابـــه بزخرفة وكتابة زخرفية نادرة ٠
- جامع الشيخ النابلسي ، ويقع في منطقة الصالحية وينسب للعالم عبد الغني النابلسي ، وهو من الطـــراز العثمـــاني وأُقـــيم عـــام ١٧٧٧م ، وبه قاعة كبرى للصلاة وقاعة أخرى للصلاة بينهمـــا قوس وبه محراب مميز ومنبر جميل ، أما مئذنته فمقامـــة مـــن الحجارة المنحوتة ٠
- جامع التوريزي أو التيروزي ، ويقع في محلة رأس الـــشويكة شمالي قبر عاتكة ، وبني عام ١٤٢٠م ، ومبني بحجارة
- من لونين على النط القاهري ، ومئذنته مربعة جميلـــة وعليهـــا زخارف كثيرة وكتابات إسلامية رائعة ، ومازال المسجد محافظاً على بنائه الأول٠
- جامع السنجقدار ، ويقع في محلة السنجقدار ، وكـــان يـــسمى مسجد الحشر ، ويتميز بواجهته الحجرية الجميلة وبوابته الرائعة وقبته الموجودة في يمين المسجد ومئذنته الرفيعة الجميلة ٠

- جامع الحنابلة ، ويقع في حي الصالحية ، وعُرف بعدة أسـماء منها الجامع المظفري وجامع الجبل ، وهو مختص بالحنابلة في وقت بنائه ، وهو صورة مصغرة للمسجد الأموي ، ويمتاز بمحرابه الرائع الذي يعد من أندر المحاريب في نقوشه وجماله ، وكان بالمسجد مئذنتان ، لم يعد موجودا منهما سوى واحدة في الجهة الشمالية، كما أن منبره من روائع منابر مساجد الشام كلها .
- جامع التوبة ، ويقع في حي العقيبة في نهاية سوق ساروجة ، وبني على نسق الجامع الأموي والمسجد غني بالزخارف الجميلة في أروقته ومحرابه المقام على عمودين من الرخام بشكل لولبي وهو من أجمل المحاريب بالمساجد ٠
- جامع درويش ، وهو يقع في محطة الدرويشية ، وشيد عام ١٥٧٤م ، وهو مسجد به خمس قباب صغيرة في الرواق وسبع قباب مستديرة في حرم المسجد بينها القبة الكبيرة في وسط المسجد ، وهو مسجد جميل للغاية ، ويتميز بالمنبر المقام بالمرمر وبقبة الخطيب المبنية على أربع دعائم يعلو كل منها قوس مدبب به زوايا مزخرفة ٠

أبـواب دمشق

يحيط بمدينة دمشق سور تاريخي كبير مبني بحجـــارة ضـــخمة ، ولـهذا السور أبواب وأبراج ، شكله شبه مستطيل ، وهذا السور به سبعة أبواب في مختلف الاتجاهات ومنـها :

ــ الباب الشرقي : ويقع شرق المدينة، ويتألف من ثــلاث فتحــات بشكل أقواس أكبرها أوسطها وخلفه الشارع المستقيم الذي يحتوي على أقواس النصر ، أما الفتحتان الجانبيتـــان فخلفهمــا رواقـــان جميلان ، وهذا الباب موجودا حتى الآن٠

ــ باب الجابية : وهو يقابل الباب الشرقي من الجهــة الغربيـــة ، ويماثله في تصميمه وهندسته ، ويوصل إلى قرية الجابية ، وبـــه الآن فتحة واحدة تقابل سوق الدراع ٠

ــ باب العمارة ، ويُسمى باب الفراديس، وهو من الأبواب الشمالية للسور ، ويسمى بالفراديس لكثرة البساتين والمياه التي تُحيط به ٠

ــ باب الفرج : ويسمى باب المناخ ، ويقع في الجهة الشمالية من دمشق ،بين منطقتي العصرونية والمناخلية ، وسمي بهذا الاسم لما وجد به الناس من الفرج، وهو باب مزدوج ، أي به باب داخلـــي وباب خارجي ، وتم تجديد الباب الداخلي في عهد صـــلاح الـــدين الأيوبي عام ١٢٥١م ٠

ــ باب النصر : وهو باب مندثر كان موقعه عند سوق الحميديـــة ، وهدم في العصر العثماني حوالي عام ١٨٦٣م ٠

ـ باب الصغير ، وهو أصغر أبواب دمشق ، ويقـع فـي الجهـة الجنوبية في منطقة تُسمى محلة الشاغور ، وكان يـسمى البـاب القبلي ، وتم ترميمه وتجديده أكثر من مرة ، ويتميز بإقامة مئذنـة عليه ، ويوجد في الجهة الجنوبية باب آخر يسمى باب كيسان ٠

ـ باب توما ، ويقع في شمال المدينة وينسب إلـى أحـد عظمـاء الروم ، وكانت عليه كنيسة كبيرة ، وتم ترميمه وتجديـده ضـمن ساحة كبيرة جميلة تعرف بساحة توما ٠

ويوجد في الجهة الشمالية باب آخر هو باب الجنسيق٠

أصدقائي ...

كانت تلك رحلة سريعة إلي دمشق عاصمة الإقليم الشمالي في عصور عديدة ، لأن دمشق تربطنا بها صلات قوية على مر الدهور ... فهل استمتعتم بالمدينة الجميلة دمشق ؟ ...